خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

٩

دعوني ما تركتكم عليه

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فـي صَحيـحِ البُخـارِيِّ: عَـنْ أَبـي هُـريْـرَةَ عبدِ الرَّحمنِ بنِ صَخْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ:

«ما نهيتُكُمْ عَنهُ فاجْتَنِبُوهُ ، ومَا أمرتُكمْ بهِ فَائْتُوا مِنهُ ما استَطَعْتُمْ ، فإنَّما أهلَكَ الَّذينَ مِنْ قَبلِكُـم كَثـرَةُ مَسـائِلِهِـم ، واخْتِـلافِهِـم عَلَـى أنْبِيائِهِم».

زارتْ (دِيمة) صَديقَتَها (دانية) في البيتِ ، وبعدَ كتابةِ الوَظائِفِ ومُذاكرةِ الدُّرُوسِ ، ذَهبتَا إلى الغُرفةِ الثَّانيةِ ، ومَارسَتَا بعضَ الألعابِ على جهازِ (الكُومبيوتَر).

ثُمَّ أَرادَتْ (ديمة) الذَّهابَ إلى بيتِها ، لكنَّ

(دانية) كانَتْ ترغَبُ في أنْ تَبْقَى صَديقتُها عِندَها ، فقالتْ لَها: بعدَ نِصفِ سَاعةٍ منَ الآنَ سيحينُ اجْتماعُ أفرادِ العَائلةِ كَما في كُلِّ يومٍ ، وسنتحدَّثُ عن بعضِ المَواضيعِ ، فلِماذَا لا تَنتظرِي إلى المَساءِ لتَستَمعي إلى مَا يدُورُ في تِلكَ الجَلسةِ؟!

ولِكثرةِ ما سَمعتْ (ديمة) من صَديقتِهَا عن الاستفادَةِ مِن تِلكُمُ الجَلسةِ ، قامتْ باتِّصالٍ هاتفيٍّ مَع والدتها ، واسْتَأْذَنَتْها بأنْ تسمحَ لَها بالبَقاءِ عندَ صديقتِها (دانية) حتَّى المساءِ...

وبِالفعلِ ، وافقتِ الأُمُّ على ذلكَ عَلى أَساسِ أنْ تأتيَ معَ والدِهَا لزيارةِ (أبي الخير) ثُمَّ يأخُذانِها مَعهُما إلى البيتِ..

وفَرحتْ (ديمة) كَثيراً وكذلكَ (دانية).. وانطلقَتَا إلى بُستانِ البيتِ.

وهُما في غايةِ الفَرحِ والسُّرورِ.

واجتمعَ أفرادُ العائلةِ.. ولمَّا رَأى (أبو الخير) صَديقَةَ ابنَتِهِ رحَّبَ بهَا وسَألهَا عن الأحْوالِ والأهْلِ والدِّراسةِ...

فلنستمِعْ إلى هَدْيِ الرَّسولِ ﷺ

أخْرجَ (صُهيبُ) منْ جَيبِهِ ورقةً وراحَ يقرأُ مِنهَا:

عنْ أبِي هُريرَةَ رضِيَ اللهُ عنهُ ، قالَ: خَطَبنَا الرَّسولُ ﷺ فقالَ:

«يَا أيُّها النَّاسُ قَدْ فَرضَ اللهُ عليكُمُ الحَجَّ ، فَحُجُّوا».

فقالَ رجلٌ: أكُلَّ عامٍ يَا رسُولَ اللهِ؟

فَسَكَتَ حتَّى قالَها ثَلاثَاً ، فَقالَ رسُولُ اللهِ صلواتُ اللهِ عليهِ:

«لَو قُلتُ: نَعمْ ، لَوجَبَتْ ، ولَمَا استَطعتُمْ ، ثُمَّ قالَ: ذَرُوني مَا تَركْتُكم ، فإنَّما أهْلكَ من كَانَ قبلَكُم بِسُؤَالِهم واخْتِلافِهم عَلَى أنْبِيائِهم ، فإذا أمرْتُكُم بِشيءٍ فَائْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطعْتُم ، وإذا نَهَيْتُكُم عن شيءٍ فَدعُوهُ».

ثُمَّ نَظَرَ (صُهيبُ) إلى وَالدِهِ وقالَ: لَو سمحتَ يا وَالدِي أنْ تبيِّنَ لَنا بعضَ مقَاصِد رسولِ اللهِ ﷺ من هَذا الحَديثِ؟.

واسْتجابَ (أبو الخير) لِطلبِ وَلدِهِ ، وراحَ يَشْرَحُ بعضَ الأمورِ المُتعلِّقةِ بِهذا الحَديثِ:

هُناكَ بعضُ الآياتِ القُرآنيَّةِ كانتْ تَنزلُ لأسبابٍ معيَّنةٍ ، وهَذا ما أطْلقَ العلماءُ عليهِ

أَسبابَ النُّزولِ ، ومِنها هذهِ الحَادثَةُ الَّتي رَوَاها (صُهيب) حيثُ أَنْزَلَ اللهُ في ذَلكَ قولَهُ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١].

أيْ: إنَّ اللهَ سُبحانَهُ مِن رَحمتِهِ وفَضلِهِ وكَرمِهِ سَكَتَ عن بَعضِ الأُمورِ ، فَلَمْ يحرِّمْها ولَمْ يُبَيِّنِ الحُكمَ فِيها ، ومَا عَلَى النَّاسِ إلاَّ أنْ يدَعُوها ، وإلاَّ إذا سألُوا عَنْها فإنَّهُ سَيُنْزِلُ التَّحريمَ فِيها ، وبذَلكَ يَكونُونَ قَدْ طَلبُوا التَّشدِيد والتَّعسِيرَ عَلَى أنفُسِهِم!!

وقدْ وَرَدَ في كُتبِ التَّفاسِيرِ أنَّ بعضَ الصَّحابةِ سألَ الرَّسولَ ﷺ أسئلةً لا حَاجةَ لَها ، مثالُ ذَلكَ ما سألَهُ واحدٌ مِنهُم: هَلْ نَحُجُّ إلى البيتِ الحَرامِ في كُلِّ عَامٍ؟

أو سُؤالٌ آخَر: مَا هُو مصيرُ الآباءِ والأُمَّهاتِ الذَّينَ ماتُوا قبلَ الإسلامِ؟

هَلْ هُم في النَّارِ؟ أو في الجنَّةِ؟

أو عَنْ بَعضِ تَساؤلاتِ المُشركينَ: ما هِيَ الرُّوحُ؟ ومَتى السَّاعةُ؟!

فقطْ اثنَتَا عَشَرة مَسألةً!!

وفَتحتْ (روضة) كِتاباً كانتْ قدْ وَضعتْهُ عَلَى الطَّاولَةِ أمَامَها ، وقَرأتْ فيهِ: وعِندَما فَهِمَ الصَّحابَةُ الكِرامُ ذَلك ، وَأيقَنُوا أنَّ كُلَّ مَا يحتاجُهُ المُسلمونَ في دِينهِمْ لا بُدَّ أنْ يُبيِّنَهُ اللهُ في القرآنِ الكَريمِ ، أو عَلى لسانِ رَسولِهِ صلواتُ اللهِ عَليهِ.

عِندئذٍ امْتَنَعُوا عَن الأسئِلةِ ، وانتَظرُوا حتَّى

يأتيَ بيانُ اللهِ في ذَلكَ ، مِصداقُ ذَلكَ قولهُ عَزَّ وجَلَّ مُخاطِباً النَّاسَ:

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ ﴾ [النساء: ١٧٦].

وَرَضِيَ اللهُ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ عِندَما قَالَ: مَا رأيتُ قَوماً خَيراً من أصحابِ مُحمَّدٍ رَسولِ اللهِ ﷺ!

مَا سَألوهُ إلاَّ عنْ اثنَتَي عَشرَةَ مسألةً ، كُلُّها في القُرآنِ ، ومن ذلك قولُه تعالى:

﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ ﴾

[البقرة: ٢١٩].

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

لِذلكَ فَعلى كُلِّ مُسلمٍ ومُسلمةٍ أنْ يتوقَّفَ عِندَ أوامرِ القُرآنِ ونَواهِيهِ ، ويَنظُرَ إلى الحُكمِ في سُنَّةِ رسولِهِ ﷺ ، وقَدْ وَرَدَ في سُنَنِ التِّرمِذِيِّ:

أنَّ رجَلاً سَألَ عبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنهُما عن اسْتِلامِ الحَجَرِ.

فقالَ لَهُ: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يَستَلِمُه ويُقَبِّلُهُ.

فقالَ لهُ الرَّجلُ: أرأيتَ إنْ غُلِبتُ عَنهُ ، أرأيتَ إن زُحمتُ ، أي: مَاذَا أفعلُ إنْ لَمْ أستَطِعِ الوُصولَ إليهِ نتيجةَ الازْدِحامِ.

فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: اجْعلْ أَرأَيت بِاليمنِ!! أي لِماذَا تَضعُ هَذِهِ الافتِراضَاتِ؟

رأيتُ رسولَ اللهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ وسَلَّمَ يَسْتَلِمُهُ ويُقَبِّلُهُ.

وهذا الفَهمُ الدَّقيقُ مِنْ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ هُوَ جَوهرُ الدِّينِ الحَنيفِ.

وذلكَ لأنَّ المُسلمَ إذَا جَعلَ هَمَّهُ الاقتِداءَ بالرَّسولِ منْ حيثُ إنَّ اللهَ أَمرهُ بِذلكَ فَقَالَ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

مَعْنَى ذَلكَ أنَّهُ يقُومُ بتَطبيقِ الإسلامِ كُلِّهِ، وَلاَ دَاعِي لِلعجْزِ وتَثبيطِ الهِمَمِ وكَثرةِ الاحْتِمالاتِ وَطرحِ الأسئلَةِ..

وقَدْ رُويَ أنَّ (الصَّلْتَ بنَ راشدٍ) قَالَ: سَألتُ (طَاووسَاً) عن شيءٍ: فانْتَهَرنِي، وقالَ: أكانَ هَذا؟

قلتُ: نَعمْ.

قَالَ: آللهُ؟

قالَ: إنَّ أصحابَنَا أخْبرُونَا عَن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ:

يَا أيُّها النَّاسُ! لا تُعجِّلُوا بِالبلاءِ قَبلَ نُزُولِهِ فَيذْهَب بِكم هَاهُنا وهَاهُنا ، فإنَّكُم إن لَمْ تُعجِّلُوا بِالبلاءِ قَبلَ نُزُولِهِ لَمْ يَنفَكَّ المُسلِمونَ أن يكونَ فِيهم مَن إذا سُئِلَ سُدِّدَ أو وُفِّقَ.

لاَ لِلجِدالِ!!

وخَتمتْ (أُمُّ الخيرِ) الجَلسَةَ قائلةً:

لكنْ ولِلأسَفِ هُناكَ مِنَ النَّاسِ أُناسٌ كُلُّ هَمِّهِم الجِدالُ والمِراءُ.

لِذلكَ وعَنْ عَمدٍ يَطرحُونَ عَلى العَالِمِ أَو المُصلِحِ أَسئلةً تَعجِيزيَّةً ، أي لَيسَ هَدَفُهم من

ذَلكَ مَعرفَةَ الأُمورِ العِلميَّةِ، إنَّما المُهمُّ أنْ يُجادِلُوا..

وقدْ حذَّرَ السَّلفُ الصَّالحُ منْ هَذهِ الأُمَّةِ مِنْ قَضيَّةِ الجدالِ، وبيَّنُوا أنَّها تُؤدِّي إلى العَداوةِ بينَ النَّاسِ، وتُورِثُ الأحقَادَ والضَّغائِنَ، وتُبْعِدُ الإنسانَ عن الفَوائِدِ الكَثيرَةِ من العِلمِ، وهَذِهِ طامَّةٌ كُبرى تُصابُ بِها المُجتمعاتُ، حيثُ تَضيعُ الأوقاتُ سُدًى، وتَذهبُ السَّهراتُ وتَرتفِعُ الأصواتُ ويغضبُ الحَاضِرونَ، ثُمَّ تَنظرُ إلى سَببِ ذَلكَ كُلِّهِ، فَتراهُ أمْراً تافِهاً، أَو أَمراً لم يَحدُثْ بَعْدُ.

ووَقفتْ (دانية) وتقدَّمتْ نَحوَ وَالديْهَا وهِي تقولُ: ولا نَنْسى أنْ يكونَ كُلُّ أمرٍ مِنَ الأُمورِ، خَالِصاً لوجهِ اللهِ تَعالى، وإلاَّ فَما الفَائِدةُ منْ

أيِّ عَملٍ إذا كَانَ لِلرِّياءِ والسُّمعةِ وإرْضاءِ النَّاسِ؟!

وابتسَمَ الجَميعُ.. وتابعتْ (أُمُّ الخيرِ) القولَ: لِذلك اعتبرَ العُلماءُ والعَارِفونَ بِاللهِ، كُلَّ إنسانٍ يتقرَّبُ إلى اللهِ بالعلمِ والسُّلوكِ الحَسَنِ، والإخلاصِ للهِ تَعالى، اعتَبرُوهُ رَاسِخاً في العِلمِ، وَهُم الَّذينَ عَنَاهُم اللهُ تَعالى بِقولِهِ:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وَفسَّرَ الرَّسولُ ﷺ ذَلكَ بقولِهِ: «مَن برَّتْ يمينُه، وصدَقَ لِسانُه، واسْتقامَ قلْبُه، ومنْ عَفَّ بطنُه وفرجُه، فَذَلكَ منَ الرَّاسخينَ في العِلمِ».

وحاولَ (جميلٌ) أنْ يلخِّص ما فَهمَ مِن هذا الهَدْيِ النَّبوِيِّ، فَقَالَ:

كُلُّ من امْتَثَلَ مَا أمَرَ بِهِ رسُولُ اللهِ ﷺ ، وانْتَهى عمَّا نَهى عَنهُ ، وكانَ مُشتغِلاً بِذلكَ عن غَيرِه ، حصَلَ لهُ النَّجاةُ في الدُّنيَا والآخِرةِ.

وكُلُّ منْ خَالفَ ذلكَ ، واشْتغَلَ برأيهِ ، وجادَلَ العُلماءَ بهدفِ الظُّهورِ أمَامَ النَّاسِ ، خسِرَ الدُّنيا والآخِرةَ.

ورحِمَ اللهُ عُمرَ بنَ عبدِ العزيزِ عندمَا قالَ:

ليستِ التَّقوَى قيامَ اللَّيلِ وصِيامَ النَّهارِ والتَّخليط فِيما بينَ ذلكَ ، ولكنَّ التَّقوَى أدَاءُ ما افْترَضَ اللهُ ، وتركُ ما حَرَّمَ اللهُ ، فإنْ كانَ معَ ذلكَ عملٌ فَهُو خيرٌ إلى خيرٍ.

وقرَعَ بابَ البيتِ.. فأسرعتْ (دانية) إلى بابِ البيتِ ، ولمَّا فتَحتْهُ وجدَتْ وَالدَ وَوالِدةَ

صَديقَتِها (ديمة) فَرحَّبَتْ بِهِما.. وأدْخلَتْهُما إلى الصَّالُونِ..

وكانَتْ سهرةً رائعةً جَمعتْ أهْلَ (ديمة) مَعَ أهلِ (دانية).. وبَعدَ تَبادُلِ أطرافِ الحَديثِ.. وتناوُلِ بعضِ الفَواكِهِ والحَلويَّاتِ..

طلبَ والدُ (ديمة) منَ الجَميعِ قِراءَةَ الفَاتِحةِ عَلى نِيَّةِ توفيقِ الطُّلابِ والطَّالباتِ في الامتحاناتِ.

ثُمَّ ودَّعُوا الجميعَ ، وانْطلقُوا إلى بَيتِهم..

والحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ